العهود والمواثيق في مصادر الفكر الديني اليهودى

اعداد
محمود عبد الله عباس الشال

إشراف

الأستاذة الدكتورة
سهير فضل الله أبو وافية
أستاذ الفلسفة الإسلامية
بكلية البنات جامعة عين شمس

الدكتورة
ماجدة طه سليم
مدرس مقارنة الأديان والفلسفة
بكلية البنات جامعة عين شمس

الملخص

تعد نصوص العهد القديم التي يقدسها اليهود سجلا دقيقا ومفصلا يكشف لنا سلوكهم المعوج مع إلههم ، ونقضهم العهد وعدم التزامهم بالمواثيق مع غيرهم من البشر . كما في معاهدات السلام التي تمت بينهم وبين الدول العربية ، فما هي إلا مرحلة من مراحل تنفيذ المشروع الاستعماري الكبير ، وإن الالتزام بها لا قيمة له ، باعتبارها وسيلة لهدف ثابت لن يتغير في عقيدتهم الدينية التي تربوا عليها .

هذه العقيدة تجمع اليهود حولها، وتوحد بين أفكارهم وطموحاتهم وأحلامهم المستقبلية ، لاسيما القادة منهم ، حيث لا اعتبار هنا لاختلاف أحزابهم وتجمعاتهم وفرقهم التي تبدو في بعض الأحيان مختلفة ومتباينة في مواقفها. فهم لا يلتزمون بقول أو عقد إلا بمقدار ما يعود عليهم من الفائدة ، فإذا انتهت انتهى التزامهم .

Abstract

The texts of the Old Testament, which are sanctified by the Jews, are a precise and detailed record that reveals to us their twisted behavior with their God, their rejection of the covenant and their non-adherence to the charters with other human beings. As in the peace treaties that were signed between them and the Arab countries, is only one of the stages of the implementation of the great colonial project, and the commitment to it is of no value, as a means of a fixed goal will not change in the religious faith on which they were raised.

This ideology combines the Jews around them and unites their ideas, ambitions and dreams with the future, especially the leaders. They do not adhere to a saying or contract except to the extent that they benefit from it, if their commitment ends.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،،،

فإن العهود والمواثيق تعد مرتكزا مهما في حياة البشرية، فمن خلال الوفاء بها تنتظم العلاقة بين الإنسان وربه ، وتنتظم كذلك مع غيره من البشر؛ وذلك وفق المبادئ والقيم التي تجمع بينه وبينهم. ويعد الالتزام بالعهود والمواثيق مما فرضه الله على الإنسان منذ أن خلقه وألزمه بذلك، لهذا أرسل الله إلى البشرية رُسلا مبشرين ومنذرين ؛ لتذكيرهم – بشكل مستمر – أن نجاحه في الدنيا والآخرة يتوقف على مدى وفائه بالتزاماته بهذه العهود والمواثيق .

إن الالتزام بالعهود والمواثيق فطرة إنسانية وفضيلة أخلاقية وفق ما تعارف عليه البشر ، باستثناء اليهود الذين كان لهم مسلك منحرف ميزهم عن غيرهم، ولذلك أرسل الله إليهم أنبياء ورسلا من أنفسهم لعلهم يستجيبون لنداء الحق، ولكن أنى لمن جبلت نفسه على الغدر والخيانة، وأبت أن تنصاع لهذا النداء .

ومن هنا يتناول الباحث العهود والمواثيق في مصادر الفكر الديني اليهودي من خلال : وصايا الرب إلى اليهود، وحفظ اليهود لعهودهم مع الإله ، والعهود بين الأغيار واليهود من خلال كتبهم المقدسة .

أسباب اختيار البحث :

1- إلقاء الضوء على المعاهدات والمواثيق عند اليهود .
2- اعتياد اليهود على نقض العهود والمواثيق، وأن هذا الاعتياد نابع من فكرهم الديني الذى يقدسونه.
3- حاجة المكتبة العربية لمزيد من هذه الدراسات فى الفكر الديني اليهودى.

منهج البحث:

لقد تطلبت الدراسة فى هذا البحث عدم الاكتفاء بمنهج واحد من مناهج البحث العلمي، بل اقتضى الأمر استخدام منهجين من مناهج البحث العلمي ؛ حتى يمكن الوصول إلى النتائج الصحيحة ، ومنها:

1- المنهج الوصفي :

حيث استخدمت هذا المنهج من خلال عرضي لنصوص العهد القديم في مجال موضوع البحث حتى يمكن التعرف على موقف اليهود من العهود والمواثيق.

2- المنهج التحليلي :

وقد استخدمت هذا المنهج فى تحليل رؤية اليهود للعهود والمواثيق.

وقد تناولت البحث من عدة محاور هي :

المبحث الأول: اليهود وعهودهم مع الله ونقضها:

المطلب الأول: وصايا الرب إلي اليهود .

المطلب الثاني: حفظ اليهود لعهودهم مع الإله .

المبحث الثاني :العهود بين الأغيار واليهود:

المطلب الأول: العهود بين الأغيار واليهود في العهد القديم .

المطلب الثاني: العهود بين الأغيار واليهود في التلمود .

المطلب الثالث: العهود والمواثيق في البروتكولات .

خاتمة البحث وأهم النتائج.

المبحث الأول: اليهود وعهودهم مع الله ونقضها:

إن كتبهم التي يدنون بها برغم تطاولهم عليها تحتوي علي الكثير من وصايا الههم وتبين نقضهم لهذه الوصايا، ومن خلال هذا المبحث اعرض بعض وصايا الههم ومدي التزامهم بها.

المطلب الأول: وصايا الرب إلي اليهود:

اضهد فرعون بني اسرائيل قبل خروجهم من مصر، فأمر بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وذلك بسبب الخشية من ازدياد عددهم وقوتهم، ومن عدم الإخلاص في ولائهم للدولة التي استضافتهم، وأحسنت إليهم فكان يحذر منهم الخيانة في كل حين . " فَقَالَ لِشَعْبِهِ: هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَي أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ"().

وبقي بنو إسرائيل علي هذا الحال إلي أن بعث الله موسي ◆ فأنقذهم علي يديه. " فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَي أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَي أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَي مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ"().

وبعد أن أهلك الرب فرعون وجنوده وأخرجهم من مصر إلي أرض سيناء امره إليهم بسماع كلامه وحفظ عهده : " فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ بَعْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي ذلِكَ الْيَوْمِ جَاءُوا إِلَي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ. ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَجَاءُوا إِلَي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فَنَزَلُوا فِي الْبَرِّيَّةِ. هُنَاكَ نَزَلَ إِسْرَائِيلُ مُقَابِلَ الْجَبَلِ. وَأَمَّا مُوسَي فَصَعِدَ إِلَي اللهِ. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً: هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَي أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" ().

لكن من خلال تلك النصوص السابقة يتبين أن فرعون ذاق بني إسرائيل صنوف العذاب فكان يقتل أبناءهم ويهتك أعراضهم، وبعد أن أرسل الله موسي وهارون عليهما السلام أرد فرعون أن يبطش بهما، وبمن معهما من بني إسرائيل عندما حاولوا الفرار من مصر، فأغرق الله فرعون وجنوده، ونجي موسي وهارون عليهما السلام ومن معهما من بني إسرائيل، وكان هذا فضل من الله عليهم، فأوصاهم بعد ذلك بحفظ العهد والطاعة له، وإن هم التزموا ذلك يستحقون عنده الاصطفاء والتفضيل علي العالمين.

لكي يكون اليهود (شعب الله الخاص) ويمتلكون الأرض التي وعدهم بها عليهم حفظ عدهم معه وتنفيذ الوصايا العشر التي أمرهم بها وهي : " ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَي أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ

تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً. اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ(). لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ"().

ثم أكد وصيته لهم بعدم الشرك في عبادته: " فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنِّنِي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ. لاَ تَصْنَعُوا مَعِي آلِهَةَ فِضَّةٍ، وَلاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةَ ذَهَبٍ"().

ومن خلال هذه النصوص نلاحظ أن الرب فرض علي اليهود وصايا وأوامر وعليهم واجب الالتزام بها والوفاء بعهدهم معه مقابل ان يختصهم برضاه ويملكهم الأرض ويجعلهم امة من دون الناس ، فإن لم يلتزموا فليس لهم ذلك بل يحل عليهم غضب الله وعقابه.

المطلب الثاني: حفظ اليهود لعهودهم مع الإله:

لمعرفة مدي التزام اليهود بأوامر إلههم لا بد أن نستعرض ذلك من خلال نصوص مصادرهم التي توضح ذلك:

أولاً : العهد القديم:

إن نصوص العهد القديم تبين لنا مدي التزام اليهود بعهودهم مع الرب وذلك من خلال أسفارهم التي وضح ذلك:

لقد انقذ الله بني إسرائيل من بطش فرعون، وأوصاهم بحفظ عهده والتزام أوامره، وعندما وصلوا إلي سيناء ذهب موسي ◆ لتكليم الرب، حيث تروي نصوص العهد القديم قصة ذلك ويبين سرعة نقضهم لما أوصاهم.

حيث جاء في سفر الخروج : " وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ. فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبِ انْزِلْ. أَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. زَاغُوا

سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَي رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ"().

من خلال النص السابق يتبين كيف استبدلوا بعبادة الرب الذي انقذهم بعبادة العجل المصنوع من الذهب المسبوك، ونسبوا إليه الفضل في إخراجهم من مصر، و جعل مؤلف هذا السفر من نبي الله هارون صانعاً للأصنام، مقدساً لها !.

لكن الله يثبت علي اليهود هذه الفعلة الشنيعة(عبادة العجل)، ويبرئ هارون ◆ منها، ويفضح الفاعل الحقيقي في قوله تعالى: ❁ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ☯().

وهكذا نقضوا العهد مع الرب وميثاقه بسرعة ليؤكدوا علي جبلتهم المتقلبة الخائنة التي لا تستقر علي حال، فهم يدورون حيث تدور مصالحهم، ويؤكد هذا ما ورد في سفر التثنية: " أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ، وَأَنْظُرُ مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ. إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ، أَوْلاَدٌ لاَ أَمَانَةَ فِيهِمْ"().

- " قَالَ الرَّبُّ لِي: قُمِ انْزِلْ عَاجِلاً مِنْ هُنَا، لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ مِصْرَ. زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَوْصَيْتُهُمْ. صَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ تِمْثَالاً مَسْبُوكًا"().

- ويخبر الرب موسي ◆ أنهم بعد وفاته سيخرجون عليه وينقضون عهده ، حيث يقول: " وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَي: هَا أَنْتَ تَرْقُدُ مَعَ آبَائِكَ، فَيَقُومُ هذَا الشَّعْبُ وَيَفْجُرُ وَرَاءَ آلِهَةِ الأَجْنَبِيِّينَ فِي الأَرْضِ الَّتِي هُوَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا فِي مَا بَيْنَهُمْ، وَيَتْرُكُنِي وَيَنْكُثُ عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَهُ. فَيَشْتَعِلُ غَضَبِي عَلَيْهِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ"().

- " فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: قُمْ! لِمَاذَا أَنْتَ سَاقِطٌ عَلَي وَجْهِكَ؟ قَدْ أَخْطَأَ إِسْرَائِيلُ، بَلْ تَعَدَّوْا عَهْدِي الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، بَلْ أَخَذُوا مِنَ الْحَرَامِ، بَلْ سَرَقُوا، بَلْ أَنْكَرُوا، بَلْ وَضَعُوا فِي أَمْتِعَتِهِمْ"().

- " وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَي مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ"().

- سقطت السامرة() " أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْطَأُوا إِلَي الرَّبِّ إِلهِهِمِ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ تَحْتِ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَاتَّقَوْا آلِهَةً أُخْرَي، وَسَلَكُوا حَسَبَ فَرَائِضِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ. وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِرًّا ضِدَّ الرَّبِّ إِلهِهِمْ أُمُورًا لَيْسَتْ بِمُسْتَقِيمَةٍ، وَبَنَوْا لأَنْفُسِهِمْ مُرْتَفَعَاتٍ فِي جَمِيعِ مُدُنِهِمْ، مِنْ بُرْجِ النَّوَاطِيرِ إِلَي الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ. وَأَقَامُوا لأَنْفُسِهِمْ أَنْصَابًا وَسَوَارِيَ عَلَي كُلِّ تَلّ عَال وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. وَأَوْقَدُوا

هُنَاكَ عَلَي جَمِيعِ الْمُرْتَفَعَاتِ مِثْلَ الأُمَمِ الَّذِينَ سَاقَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَعَمِلُوا أُمُورًا قَبِيحَةً لإِغَاظَةِ الرَّبِّ. وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ الَّتِي قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ عَنْهَا لاَ تَعْمَلُوا هذَا الأَمْرَ. وَأَشْهَدَ الرَّبُّ عَلَي إِسْرَائِيلَ وَعَلَي يَهُوذَا() عَنْ يَدِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَكُلِّ رَاءٍ قَائِلاً ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ وَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، فَرَائِضِي، حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُ بِهَا آبَاءَكُمْ، وَالَّتِي أَرْسَلْتُهَا إِلَيْكُمْ عَنْ يَدِ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ. فَلَمْ يَسْمَعُوا بَلْ صَلَّبُوا أَقْفِيَتَهُمْ كَأَقْفِيَةِ آبَائِهِمِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّبِّ إِلهِهِمْ. وَرَفَضُوا فَرَائِضَهُ وَعَهْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ آبَائِهِمْ وَشَهَادَاتِهِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ، وَصَارُوا بَاطِلاً وَرَاءَ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّبُّ أَنْ لاَ يَعْمَلُوا مِثْلَهُمْ. وَتَرَكُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ وَعَمِلُوا لأَنْفُسِهِمْ مَسْبُوكَاتٍ عِجْلَيْنِ، وَعَمِلُوا سَوَارِيَ، وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْدِ السَّمَاءِ، وَعَبَدُوا الْبَعْلَ. وَعَبَّرُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فِي النَّارِ، وَعَرَفُوا عِرَافَةً وَتَفَاءَلُوا، وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ لإِغَاظَتِهِ. فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَي إِسْرَائِيلَ وَنَحَّاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ سِبْطُ يَهُوذَا وَحْدَهُ. وَيَهُوذَا أَيْضًا لَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ، بَلْ سَلَكُوا فِي فَرَائِضِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي عَمِلُوهَا"().

يتبين لنا من خلال النصوص السابقة، أن اليهود نقضوا العهود مع الرب ومع انبيائهم، فلم ينفذوا الأوامر التي امرهم بها وانهم سرقوا وصنعوا تماثيل لهم وعبدوها، وأن مملكة اليهود الشمالية(السامرة) سقطت بسبب نقضهم العهود مع الرب، حيث رفضوا وصاياه وانهم عبدوا الاصنام التي حرمها الرب عليهم، ورفضوا فرائضه والعهد الذي قطعه مع آبائهم، فكان جزاؤهم محوهم ولم يبق الا يهوذا(مملكة الجنوب) ايضا لم يحفظوا وصايا الرب إلههم.

حيث كان الكفر والخيانة لوصايا الرب هو طابع مملكة يهوذا مملكة الجنوب، طيلة عهود ملوكهم وتلخص لنا الأسفار حالتهم الدينية فتقول: " ... حَتَّي إِنَّ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الأُمَمِ، وَنَجَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ الَّذِي قَدَّسَهُ فِي أُورُشَلِيمَ"().

- " قَدْ نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُوذَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ. لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا جَالِبٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ، وَيَصْرُخُونَ إِلَيَّ فَلاَ أَسْمَعُ لَهُمْ. فَيَنْطَلِقُ مُدُنُ يَهُوذَا وَسُكَّانُ أُورُشَلِيمَ وَيَصْرُخُونَ إِلَي الآلِهَةِ الَّتِي يُبَخِّرُونَ لَهَا، فَلَنْ تُخَلِّصَهُمْ فِي وَقْتِ بَلِيَّتِهِمْ. لأَنَّهُ بِعَدَدِ مُدُنِكَ صَارَتْ آلِهَتُكَ يَا يَهُوذَا، وَبِعَدَدِ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَضَعْتُمْ مَذَابِحَ لِلْخِزْيِ، مَذَابِحَ لِلتَّبْخِيرِ لِلْبَعْلِ"().

- " اِسْمَعُوا هذَا يَا رُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَقُضَاةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْحَقَّ وَيُعَوِّجُونَ كُلَّ مُسْتَقِيمٍ. الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيَوْنَ بِالدِّمَاءِ، وَأُورُشَلِيمَ بِالظُّلْمِ. رُؤَسَاؤُهَا يَقْضُونَ بِالرَّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالأُجْرَةِ، وَأَنْبِيَاؤُهَا يَعْرِفُونَ بِالْفِضَّةِ، وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَي الرَّبِّ قَائِلِينَ: «أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسَطِنَا؟ لاَ يَأْتِي عَلَيْنَا شَرٌّ!"().

فهذه مجموعة من النصوص من الكتاب الذي يقدسه اليهود يكشف لنا عن جبلتهم وسلوكهم المعوج مع إلههم فقد نقضوا عهده ولم يلتزموا مواثيقه، فقد عبدوا من دونه عجلاً ذهبيا صنعوه بأيديهم، ومن ثم عبدوا آلهة الأرض الوثنية، وسرقوا ما حرمه الرب عليهم ونحتوا الأصنام الرجسة، وتعاطوا العرافة والسحر، وارتكبوا جميع المعاصي التي تغيظ الرب حتي أنهم بالغوا فيها فنجسوا بيت الرب الذي قدسه أورشليم.

لذلك حقت عليهم كلمة العذاب " إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ، أَوْلاَدٌ لاَ أَمَانَةَ فِيهِمْ"()، وفقدوا بهذا أحقيتهم في الاصطفاء والاختيار علي العالمين، لأن هذا الاختيار كان مشروطاً بالطاعة وحفظ العهد

فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم وأضلهم وجعل قلوبهم قاسية لا يقبلون الحق، فتقضوا العهد فلعنهم الله بكفرهم().

ثانياً: التلمود:

أما في التلمود فقد سلك اليهود مسلكهم في العهد القديم فقد تحايلوا علي بعض أحكامه وتغاضوا عن بعض وفق ما تقتضيه مصالحهم وأهواؤهم لأنه من وجهة نظر حاخاماتهم " ليس من الممكن إطاعة جميع هذه الوصايا والأوامر في كل مكان يقول (أحدهم): إن اليهود يستطيعون التغاضي عني بعضها إلي حد ما، حين تكون مصلحة اليهودي، مثلاً، تتطلب ذلك التغاضي، كأن يكون اليهودي سيربح من تجارة تفرض ارتداء نوع من الكساء"(). سأعرض مثالين لهذا التحايل علي شريعة التلمود:

المثال الاول : حلب الأبقار يوم السبت:

حرم حلب الأبقار يوم السبت في عهود ما بعد التلمود، ودخل هذا التحريم ضمن الأعمال الممنوع القيام بها في هذا اليوم.

إلا أنه يجوز الحلب إذا صبغ الحليب بلون يميل إلي الزرقة. حيث يصنع بهذا الحليب الجبنة وتزول الصبغة في مصل اللبن.

كذلك اتبعوا طريقة أكثر مهارة إذ أجازوا الحلب وسكبه علي الأرض لإراحة البقرة من الحليب المحتقن في الضرع. وهذه الطريقة تقوم علي أن يذهب أحد الأشخاص صباح يوم السبت إلي حظيرة الأبقار ويضع وعاء تحت البقرة (وهذا غير محرم في شريعة التلمود) ثم يذهب الي الصلاة . ثم يأتي الآخر وبنية تخفيف الألم عن الحيوانات وجعل الحليب ينساب علي الأرض ، يقوم بحلب الأبقار ثم يذهب للصلاة، ثم يأتي تقي أخر ويري أن الأوعية قد ملئت حليباً لذا يحملها ويحفظها في مكان بارد ثم يلحق برفاقه للصلاة!.

وبذلك يتم حلب الأبقار مجتازين الظرف في يوم السبت().

المثال الثاني: السنة السبتية:

تنص الشريعة التلمودية علي بقاء الأرض المملوكة لليهود في فلسطين، مرتاحة دون زراعة مرة كل سابع سنة، فتحظر كافة أنواع العمل الزراعي ... ولكن ثمانيات القرن التاسع عشر مع إقامة أول المستعمرات الزراعية اليهودية في فلسطين ... ابتدع الحاخامات المتعاطفون مع المستوطنين (تخريجاً) لها، وأصبح فيما بعد شديد الإتقان علي يد حلفائهم في الأحزاب الدينية. كما أصبح ممارسة إسرائيلية معترف بها.

يعمل التخريج بالطريقة التالية: قبيل حلول السنة السبتية يعطي وزير الداخلية الإسرائيلي لكبير الحاخامات شهادة تجعله الملك القانوني لكل الأراضي الإسرائيلية، الخاصة والعامة، يذهب الحاخام الأكبر مسلحاً بهذه الشهادة إلي شخص غير يهودي ويبيعه أرض إسرائيل (ومنذ عام 1967 الأراضي المحتلة أيضاً) مقابل مبلغ رمزي من المال، من ناحية أخري، يتعهد " المشتري " في

شهادة أخري أن يبيع الأرض ثانية بعد نهاية السنة وتتكرر هذه الصفقة كل سبع سنوات، عادة مع نفس المشتري"().

هذان المثالان يوضحان سلوك اليهود مع شريعة التلمود ويعطيان صورة واضحة علي المهارة اليهودية في التحايل علي نصوص الدينية التي يقدسونها بشكل عظيم.

ولنا أن نتسأل عن سلوكهم في النصوص الغير الدينية التي لا يقدسونها كالعهود والمواثيق مع الأمم الأخرى كيف يتعاملون معها؟!.

المبحث الثاني :العهود بين الأغيار واليهود:

تبين من خلال الفصل السابق ، كيف نقضوا اليهود العهود والمواثيق مع إلههم وأنهم يتحايلون علي نصوصهم التي يقدسونها فإذ كان مسلكهم مع إلههم في نقض عهودهم، فما بال العهود التي تبرم مع غير اليهود، و من خلال هذا المبحث نبين نظرة اليهود إلي عهودهم وموقفهم من السلام مع الأغيار.

إن البحث في العهود والمواثيق عند اليهود مرتبط بعلاقتهم بالأغيار، ولكن يمكن بحث هذه النقطة بصفة مستقلة لأهميتها الزمانية – وبخاصة بعدما وقعت عدة معاهدات بين اليهود والمسلمين – وتبيان حكم العهود من وجهة النظر الدينية اليهودية مع غيرهم.

المطلب الأول: العهود بين الأغيار واليهود في العهد القديم:

فاليهود وفق معتقداتهم الدينية هم (شعب الله المختار) وغيرهم الجوييم، وهناك فرق واسع بين الطرفين باعتبار الطرف الأول إنساني والآخر حيواني وربما أدني منه والعلاقة بين الطرفين هي علاقة الإنسان بالحيوان؛ لذلك نجد وفق هذا السياق استحالة قيام أي علاقة تعاهدية بين طرفين لأن العلاقة التعادهية لا تكون إلا بين طرفين إنسانيين هذا من جهة، ومن جهة أخري نجد في العهد القديم نصوص كثيرة تنهي اليهود عن قطع أي عهد مع سكان الأرض نذكر منها:

" وَأَجْعَلُ تُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَي بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَي النَّهْرِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَي أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ. لاَ تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلاَ مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْدًا. لاَ يَسْكُنُوا فِي أَرْضِكَ لِئَلاَّ يَجْعَلُوكَ تُخْطِئُ إِلَيَّ. إِذَا عَبَدْتَ آلِهَتَهُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ فَخًّا"().

أي لا تجعل شروط السلام بينك وبينهم بأن تجعل لهم بعض الأرض، وبعضها لنفسك، وعلي العهد مع آلهتهم التسليم بأنها حقة، فإن المتحالفين في ذلك الزمان كان يعترف كل منهم بآلهة الآخر().

" فقال الرب لموسي : " هَا أَنَا قَاطِعٌ عَهْدًا. قُدَّامَ جَمِيعِ شَعْبِكَ أَفْعَلُ عَجَائِبَ لَمْ تُخْلَقْ فِي كُلِّ الأَرْضِ وَفِي جَمِيعِ الأُمَمِ، فَيَرَي جَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي أَنْتَ فِي وَسَطِهِ فِعْلَ الرَّبِّ. إِنَّ الَّذِي أَنَا فَاعِلُهُ مَعَكَ رَهِيبٌ. اِحْفَظْ مَا أَنَا مُوصِيكَ الْيَوْمَ. هَا أَنَا طَارِدٌ مِنْ قُدَّامِكَ الأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ، بَلْ تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ. فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لإِلهٍ آخَرَ، لأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ. إِلهٌ غَيُورٌ هُوَ. اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ، فَيَزْنُونَ

وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ وَيَذْبَحُونَ لآلِهَتِهِمْ، فَتُدْعَي وَتَأْكُلُ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ، وَتَأْخُذُ مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكَ، فَتَزْنِي بَنَاتُهُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ، وَيَجْعَلْنَ بَنِيكَ يَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ"().

فمن خلال النصوص السابقة نري أن إله اليهود قد حرم عليهم ضرب الوعود وقطع العهود مع الشعوب الأخرى ، وحضهم علي عدم الالتصاق بهم ، والقيام بحروب دائمة لكي يستولوا علي الأرض التي وعدهم بها كما يزعمون.

لكن نجد أن صفة نقض العهود والمواثيق وعدم الالتزام بالمواثيق عقيدة يهودية متأصلة فيهم يتوارثونها جيلاً بعد جيل تبرهن عليها أقوالهم وأفعالهم، وإذا كانت هذه الصفة في البشر باستثناء اليهود هى صفة مذمومة وانحطاط أخلاقي؛ فإنها بالنسبة لليهود تشكل فخر واعتزاز إذا بقدر التزامهم بها يكون رضا إلههم، حيث ورد في سفر الخروج : " مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ() وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بْنَتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ. لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَي، فَيَحْمَي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا."().

فإلههم يقطع لهم عهداً بأن يُمِلّكهم الأرض ويطرد من أمامهم الأموريين والكنعانيين وما ذكرهم من الشعوب الأخرى، وذلك ليقيموا دولتهم التوراتية المزعمة.

ولهذا يحذرهم إلههم من قطع أى عهد مع سكان الأرض، ويحذرهم من الاختلاط معهم كي لا يفقدوا شخصيتهم المميزة ويصبحوا وثنيين مثلهم. ولهذا يغار إلههم لأنهم شعبه المختار!!
بل ويوصيهم ألا يسكنوا مع غيرهم أيضاً بقوله : " لاَ تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلاَ مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْدًا. لاَ يَسْكُنُوا فِي أَرْضِكَ لِئَلاَّ يَجْعَلُوكَ تُخْطِئُ إِلَيَّ. إِذَا عَبَدْتَ آلِهَتَهُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ فَخًّا"()

فمن هنا نجد صفة نقض العهد تشكل عند اليهود قمة الطاعة لإلههم لأنها القاعدة الأساسية التي تثبت وترسخ أقادمهم على الأرض التي سلبوها من أهلها.

المطلب الثاني: العهود بين الأغيار واليهود في التلمود:

أما في التلمود؛ فإنه أكد علي تحريم العهود مع الأغيار وأجازه علي سبيل المخادعة والنفاق والمصلحة " يفسر التلموديون مسألة العهود مع الغرباء بقولهم: إن العهد إذا أبرم يجب أن يبرم بين طرفين متكافئين، ولما كان الأممي لا يساوي اليهودي فإنه لا يحق لليهودي إبرام عهد مع الأممي، وحتي لو أبرام عهداً بظرف ما فهو في حل منه عندما يزول السبب، إذا من الممكن لليهودي أن يبرم معاهدة عندما يكون ضعيفاً، و أن يلغيها عندما يكون قوياً(). وكذلك يجوز لهم خداع الأمميين تحقيقاً لمصالحهم وطموحاتهم.

بعض التعاليم التلمودية التي تتناول ذلك :

" محظور علي اليهودي تلمودياً أن يحيوا الكفار بالسلام مالم يخشوا ضررهم أو عدوانهم، فاستنتج من ذلك الحاخام بشاي: أن النفاق جائز وإن الإنسان (أي اليهودي) يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكفار وسيدعي محبته كاذباً إذا خاف وصول الأذى إليه "().

"يجوز خداع الجوي .إذا استطاع يهودي خدعاهم (خداع الوثنيين) بادعائه أنه من عباد النجوم مسموح له أن يفعل ذلك "().

هذه تعاليم تلمودية يقدسها اليهود وينفذونها في سلوكهم ومعاملاتهم. وتوصيهم أيضاً قائلة : "علي اليهودي أن يؤدي عشرين يميناً كاذبة ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما. ويجوز له أن يشهد زوراً وأن يقسم بحسب ما تقضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك في سره"().
و"مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ، ويحلف له أيماناً كاذبة ، شرط ألا يكشف الأخير غشه ، حتي لا يضر بالدين في عيون الآخرين، وإذا سرق يهودي أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودي أن يحلف اليمين حلف زوراً ، ويعين التلمود يوماً كل فترة يسمي يوم الغفران العام ، وفيه يُمحي كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب ومن ضمنها الأيمان الزور"().

يسمي هذا اليوم "يوم الكفارة" و"عيد الغفران" لأنه من الأعياد الدينية (المقدسة) عند اليهود ؛ يأتي هذا العيد في اليوم العاشر من أكتوبر ويبدأ قبيل غروب شمس اليوم التاسع ويستمر إلي غروب اليوم التالي ، فمدته (27) ساعة، ويجب فيه الصيام، وعدم الاشتغال بأي شئ ما خلا العبادة، وقد جعل عيد الغفران يوم تكفير، يعلنون فيه نقضهم للعهود والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود، وأفتي حاخاماتهم أن سبب ذلك كان إكراه اليهود علي تغيير دينهم().

لذلك يقول إسرائيل شحاك عن عيد الغفران " متسائلا : ما الذي يعتبر شعبياً والأمر الأكثر قداسة والمناسبة الأشد وقاراً في السنة الدينية اليهودية والتي يحضرها يهود عديدون بعيدون عن الدين في المجالات الأخرى إنها صلاة كول نيدري()، عشية عيد الغفران، وهي التراتيل الساذج للإعفاءات الخادعة التي تعتبر، مقدماً، كل ما ينذر لله في السنة التالية لا غيا وغير ملزما().

ومن خلال هذه الصلاة في ليلة العيد يعتبر كل ما يقوم به اليهودي من نقض للعهد ونكث الميثاق ونكوص للأيمان التي يحلفوها مع غيرهم مكفر خطيئته فيها، ولذلك يقبلون على الاحتفال بالعيد بسرور عظيم وباستعداد كبير.

تعتبر صلاة " كول نيدري " الشعبية الصلاة الأكثر قداسة والمناسبة الأشد وقاراً في السنة الدينية اليهودية ، ويحضرها العديد من اليهود البعيدين عن الدين ().

تقام هذه الصلاة عشية عيد الغفران ويدعون فيها ويطلبون الغفران للأفعال المخادعة التي فعلوها، والأيمان التي أدوها زوراً، والعهود التي تعهدوا بها ولم يقوموا بوفائها ، ويمكن لليهود أن يتحصلوا علي ذلك الغفران في أي وقت كان من حاخام واحد أو ثلاثة شهود "().

المطلب الثالث: العهود والمواثيق في البروتكولات:

ترسم البرتوكولات منهجاً نفاقياً لساسة اليهود ورجال حكومتهم، وتحذرهم من كلف الصفات الأخلاقية لأنها من صفات الجوييم وقد جاء في البرتوكول الأول : " لا علاقة لسياسة بالأخلاق قط، وإن الحكومة التي تسير بالأخلاق ليست رجال خبرة سياسية، وبالتالي فإنها ليست مكينة في مقاعدها. إن الذي يريد أن يحكم عليه أن يعتمد علي الخداع والمكر، وإن الاستقامة والصراحة، اللتين هما فضيلتين شعبيتين، تصبحان نقيضتين في السياسة، لانهما أشد فتكاً في الكيان الحكومي من أقوي الأعداء. إن هذه الفضائل يجيب أن تكون خاصة ببلاد الجوييم، ولكن يجيب ألا نتخذها نحن مثالاً يحتذي متذرعين بأي عذر من الأعذار"().

فالخداع والمكر هو سلوك اليهود الطبيعي أما الاستقامة والصراحة فهي سلوك شاذ لم يعتد عليه. ولذا عندهم الغاية تبرر الوسيلة من أجل تحقيق مشروعهم الاستعماري وقد قالوا في البرتوكولات: " الغاية تبرر الوسيلة .وفي الوقت الذي نرسم فيه مخططنا علينا ألا نعير اهتماماً لما هو حسن وأخلاقي بل لما هو ضروري ومفيد. أمامنا مشروع يرسم لنا الاستراتيجية اليهودية التي ألا نحيد عنها لكي لا نضيع ثمرات جهود قرون"().

فالاستراتيجية اليهودية تفرض عليهم عدم الالتزام بالعهود والمواثيق مع الأغيار لكي يكونوا ناجحين في سياستهم وبلوغ أهدافهم وقد قالوا في البرتوكول السابع : " إن النجاح الأكبر في السياسة يعتمد علي سرية العمل ، ويجيب أن تكون متناقضات بين أقوال الدبلوماسي وأفعاله؛ فأفعال الدبلوماسي هي تنفيذ لمخططهم المرسوم أما أقواله فهي التزاماته وتعهداته مع الآخرين وهي تناقض أفعاله ، لذلك فهي كذب وخداع ومكر حتي ولو أقسم يميناً يؤكد صدقه أو أنه سيفي بالتزاماته()، لأن هناك وصايا خاصة من رجال دينهم لتبرير الكذب والحنث بالوعد . منها : إنه يكفي لكي يتحلل اليهودي من قسمه أن يسر في نفسه وهو يقسم ، أن هذا القسم غير نافذ المفعول، أو أن قسمه سراً علي شرط مستحيل الوقوع، و لا يعتبر اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يميناً، لأنه اقسم لحيوان ، والقسم لحيوان لا يعد يميناً، لأن اليمين جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا، فإذا اضطر يهودي أن يحلف لمسيحي فله أن يعتبر ذلك الحلف كأنه لا شئ ().

فعلاقة اليهود مع الأغيار لا ترقي في أي ناحية منها إلي مستوي العلاقات الإنسانية والقيم الأخلاقية المتعارف عليها بين البشر ،لأن جميع معاملاتهم مع الجوييم ليس لها من جهتهم أي قيمة دينية أو أخلاقية، ولا يلتزمون بقول أو عقد إلا بمقدار ما يعود عليهم من الفائدة فإذا انتهت انتهي التزامهم ، وهناك أمثلة كثيرة علي هذا السلوك اليهودي في العهد القديم نذكر منها:

ـ الغدر والخيانة عند اليهود:

تربي اليهود علي الغدر والخيانة، فكل أتفاق يعقدونه أو عهد يقطعونه يخفي في طياته حقداً قاتلاً؛ فبيد يصافحون وبالأخرى يطعنون، وهكذا كان مسلكهم عبر التاريخ وفي كل بلد سكنوه.

فلقد كان يعيش بنو إسرائيل في مصر مكرمين منعمين بخيراتها بعد تركهم لفلسطين التي قست عليهم الحياة فيها، ولكن لم يحفظوا الود للمصريين كانوا يتربصون بهم ويعملون علي إفقارهم وإضعاف الروح المعنوية بين طبقات الشعب بغية السيطرة عليه، وذلك عن طريق الضغط الاقتصادي وأخري عن طرق الدِّين والعقيدة ().

وعندما خرجوا من مصر قابلوا الإحسان والمعروف بالسرقة والخيانة وذلك تطبيقاً لوصية الرب لهم ، حيث ورد في التوراة :" وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ. بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَي بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ ().

فإلههم يوصيهم بالخيانة علي هذا الفعل القبيح من وجهة نظرنا، ولكنه حسن من وجهة نظرهم لأنه تنفيذ لأوامر الرب، ومن خلال هذه الأمثلة وغيرها كما سيأتي لاحقا، نجد أن الطابع الأخلاقي في الفكر اليهودي فيه تناقض جذري مع كل مفهوم ومبدأ تعارفت الشعوب عليه.

فالتوراة التي يقدسونها مازالت تحتوي علي نماذج تدل علي خيانة اليهود وغدرهم ونقضهم لكل العهود والمواثيق، لأنها تمثل السلوك الطبيعي بنظرهم، ومن هذه القصص التي يفتخرون بها التي ورد ذكرها في التوراة :

- قصة أبناء يعقوب مع شكيم بن حمور:

" وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا. وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ وَلاَطَفَ الْفَتَاةَ. فَكَلَّمَ شَكِيمُ حَمُورَ أَبَاهُ قَائِلاً خُذْ لِي هذِهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً، وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ نَجَّسَ دِينَةَ ابْنَتَهُ. ... وَاغْتَاظُوا جِدًّا لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَهكَذَا لاَ يُصْنَعُ. وَتَكَلَّمَ حَمُورُ مَعَهُمْ قَائِلاً شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا. وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمُ. اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا. ثُمَّ قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ. فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي. كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولُونَ لِي. وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً...وَكَلَّمَا أَهْلَ مَدِينَتِهِمَا قَائِلِينَ: هؤُلاَءِ الْقَوْمُ مُسَالِمُونَ لَنَا. فَلْيَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُوَذَا الأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ أَمَامَهُمْ. نَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. غَيْرَ أَنَّهُ بِهذَا فَقَطْ يُوَاتِينَا الْقَوْمُ عَلَي السَّكَنِ مَعَنَا لِنَصِيرَ شَعْبًا وَاحِدًا: بِخَتْنِنَا كُلَّ ذَكَرٍ كَمَا هُمْ مَخْتُونُونَ. أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بَهَائِمِهِمْ لَنَا؟ نُوَاتِيهِمْ فَقَطْ فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا... أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَي الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَي بَنُو يَعْقُوبَ عَلَي الْقَتْلَي وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ... فَقَالاَ أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا؟"().

حيث نلاحظ من خلال هذ القصة مقدار التنازلات الهائلة التي قدمها حمور وابنه شكيم لابني يعقوب من أجل أن يحصل شكيم دينة زوجة له، وكم رغب حمور أن يفتح معهم صفحة جديدة ويقيم علاقات حسنة، تقوم علي المصاهرة والمساكنة وتبادل العلاقات التجارية ، إلا أن أبناء يعقوب وبكل المكر الذي يتقنون فنونه قبلوا ذلك بشرط أن يختتن شكيم وابنه حمور وأهل مدينتهم، ولكن مع قبولهم وتنفيذهم لهذا الشرط بسرور عظيم انكشفت خديعة لبني يعقوب .إذ في اليوم الثالث من ختانهم حيث كانوا يتألمون ويتوجعون باغتهم ابني يعقوب شمعون ولاوي وأخذا يقتلان كل ذكور المدينة بما

فيها حمور وشكيم، ونهبوا المدينة ودمروها، وأحذو أختهم دينة معهم، فكانت نتيجة المفوضات والاتفاقيات بين شكيم ووالده حمور قتلاً ونهباً وسلباً.

وحاش لله ألا يعصم حرمة امرأة النبي وابنته من هذا العار، وحاش ليعقوب ◆ أن يرضي بمثل هذه الخسة والدناءة في بيته، وحاش له ان يسلك سبل الغدر أو يرضي بها، وحاش له أن يرضي بمجزرة يقتل فيها الابرياء، وتنهب الاموال وتهدم البيوت وتسبي النساء والأطفال، غير أن أحبار اليهود وزعماءهم يستلهمون هذه القصة وأمثالها ليطبعوا عامة اليهود بطابع المكر والخديعة والغدر والخيانة ضد كل من هو غير يهودي.

فهذه القصة مثال واضح علي سلوك اليهودي الذي لم تنفع معه كل التنازلات التي قدمها شكيم وحمور من أجل إقامة حسنة تقوم علي المصاهرة والمساكنة وتبادل العلاقات التجارية !.

لكن ما حدث بين أمير شكيم وبين دينة ليس بالأمر الغريب ولا هو بالعار؛ فقد كانت العادة المتبعة في ذلك العصر تقول : إذا عاشر رجل فتاة غير متزوجة، وجب عليه التزوج منها، وهذا ما أكدته شريعة التوراة ذاتها، حيث جاء في سفر التثنية ما يلي: " إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ فَتَاةً عَذْرَاءَ غَيْرَ مَخْطُوبَةٍ، فَأَمْسَكَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَوُجِدَا. يُعْطِي الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا لأَبِي الْفَتَاةِ خَمْسِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَتَكُونُ هِيَ لَهُ زَوْجَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أَذَلَّهَا. لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ"().

موقف اليهود من معاهدات السلام مع الأغيار:

لقد تفرد اليهود بمفهوم خاص للسلام يتناسب مع قيمهم الأخلاقية ومفاهيمهم الدينية. هذا التفرد جعلهم لا يلتزمون بميثاق أو عهد مع غيرهم من البشر. وإذا كانت العهود والمواثيق بين البشر هي التي تضع حداً للصراع فيما بينهم، وتبرهن علي جديتهم في الرغبة في التعايش في سلام وفق مجموعة من القيم والمفاهيم المشتركة بينهم. فإن الحال مختلف مع اليهود الذين ما فتئوا ينقضونها بشكل مستمر مما يوحي بشكل قاطع أن هناك خلل جسيم بين الطرفين، حتي بات النقض لالتزاماتهم خصلة متأصلة في سلوكهم وممارساتهم. وهذا الخلل ناجم عن العقيدة اليهودية التي جعلت من اليهود "شعب الله المختار" وغيرهم من البشر "جوييم".

فنقض العهد والميثاق عند اليهود نابع من عقيدة يؤمنون بها، وجبلة نشئوا عليها، وسلوك اعتادوا عليه. وقد يعجب القارئ من كيفية التزام اليهود بهذه العقيدة والتفاخر بها، والمحافظة عليها في أجيالهم وعبر كل العصور. مع العلم أن نقض العهد ونكث الميثاق خصلة مذمومة مرذولة، ومن مساوئ الأخلاق عند جميع الأمم والشعوب باستثناء اليهود الذين يرون في تلك الخصلة فضيلة خلقية تتناسب مع قيمهم وأخلاقهم التي قامت علي الأسطورة والخرافة في كثيرة من جوانبها.

ولكي لا يعتقد أن هناك تجنياً علي أخلاق اليهود وقيمهم، وأن هناك انتقائية في اختيار النصوص والأفكار، أردت أن أوضح أن ما ذكر من أخلاق اليهود وممارساتهم مع الآخر من غير اليهود ما هي إلا جزء يسير من حقيقتهم ومعتقداتهم قد لا تعطي الصورة الكاملة التي رسمها فكرهم الديني لهم. لكن الذي يجدر ملاحظته أن ما نراه من رذيلة ونقائص خلقية في سلوكهم هم يرونه واجباً دينياً يعتزون به ويتسابقون في كسب رضا إلههم يهوه في القيام به، لذا واجبنا لكي نقترب من

الشخصية اليهودية والتعرف عليها أن ندرسها من خلال قيمها ومبادئها التي تؤمن بها وتؤثر فيها. فمثلاً عندما ينقض اليهود التزاماتهم مع غيرهم عملاً بوصية إلههم لهم التي تقول: " اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ، بَلْ تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ."()، أو في قوله: " لاَ تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلاَ مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْدًا"(). فإن ذلك الالتزام بالنقض للعهود يأتي متوافقاً مع الأمر الديني الذي يمثل قمة الأخلاق اليهودية التي هي حكر عليهم باعتبارهم يمثلون الجانب الإنساني الوحيد علي الأرض ـ كما يزعمون ـ وأن غيرهم سلب ذلك الجانب وحقوقه سوي الجانب الشكلي الذي يماثلهم فيه، وذلك لغايات ومآرب تعود لمصلحتهم فقط.

قضية نقض العهد والميثاق عند اليهود تؤكد علي عدم تمسكهم بالتزاماتهم مع غيرهم. وهذا ليس كشفاً علمياً، وإنما طبيعة المغايرة ـ من وجهة نظرهم ـ بينهم وبين "الجوييم" تقتضي ذلك، والدليل علي ذلك ممارساتهم علي أرض الواقع التي تعتبر تعبيراً عن نظرتهم للحياة وتطبيقاً لمفاهيمهم الخاصة بها. ومن تلك المفاهيم مفهوم السلام الذي يتحدثون به من خلال كتبهم الدينية التي يستمد منها اليهود فكرهم السياسي بجميع مقوماته الأيديولوجية والاستراتيجية.

"حيث حرص اليهود منذ بدايات طرح مشروعهم الاستعمارية لفلسطين، وإعلان قيامه عام 1948 ولغاية الآن، علي الدعوة والمطالبة والحديث عن السلام مع العرب. وقد استطاعوا توقيع عدة اتفاقيات تسوية مع بعض الدول العربية، كانت تصب جميعها في مصلحة اليهود ومخططاتهم. لكن مع ذلك انتهكوا ونقضوا التزاماتهم فيها، وبخاصة تلك الاتفاقيات التي وقعت بينهم وبين الجانب الفلسطيني بدءاً من اتفاق أوسلو عام 1993، فقد أمست أثراً بعد عين في عملية "السور الواقي" التي قادها "شارون" بتاريخ 29/3/2002م بعدما عدلت مرات عدة من قبل الجانب اليهودي!.

والسؤال الذي يطرح هنا: لماذا ينادون بالسلام ويمارسون الحرب؟ وهل هناك اختلاف بين السلام والحرب من حيث آثارهما بالنسبة لهم؟. وللإجابة علي ذلك أقول: إن عقيدة الاصطفاء والاختيار هي القاعدة الأساسية في تعامل اليهود مع الآخرين، وقد جاء في التلمود:" نحن شعب الله في الأرض، سخر لنا الحيوان الإنساني، وهو كل الأمم والأجناس سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلي نوعين من الحيوان: نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب. إن اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، ومن يصفع اليهودي كمن يصفع الله "().

هذه العقيدة تؤدي إلي وجود طرفين عند اليهود: طرف بشري إنساني وهذا حكر عليهم، وطرف دوني لا يرقي إلي مستواهم في المكانة والتكوين وهو كل البشر من غير اليهود، ولذلك السلام والمعاهدات هي علاقة بين طرفين متساويين متكافئين، لكن من وجهة نظر اليهود هذا مستحيل لعدم وجود الطرف الإنساني المقابل لهم، لذا يأتي تعاملهم مع الآخر وكأنه تعامل بين إنسان وحيوان لا أكثر. وهذا الحيوان ليس من الحيوانات الأليفة بل إنه من الحيوانات المتوحشة!. ولو عدنا إلي توراتهم نجد أن إلههم قد وعدهم بامتلاك أرض الغير الجوييم: " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام عهداً قال: " لنسلك أهب هذه الأرض من نهر مصر إلي النهر الكبير نهر الفرات..."()، كذلك ورد فيه: " وقال الرب لموسي: قل لبني إسرائيل ستعبرون الأردن إلي أرض كنعان، فتطردون جميع سكانها من أمامكم، وتبيدون جميع منقوشاتهم.."().

نلاحظ من خلال النص الديني أن الحرب كفكرة قد غرست في نفوس اليهود قبل استيلائهم علي الأرض التي وعدوا فيها، فإلههم يملكهم من خلال الوعد أرضاً مسكونة، ولا يمكن لهؤلاء السكان أن يغادروا أرضهم ويتخلوا عن ممتلكاتهم عن طيب خاطر لكي يحتلها اليهود ويستلموها بناء علي وعد مزعوم. لذلك أدرك اليهود هذه الحقيقة وعلموا أنه لا يمكنهم الحصول علي "أرض الميعاد" إلا عن طريق الحرب، ومواجهة تلك الشعوب التي يعتقدون أنها محتلة لأرضهم التي أعطيت لهم، وان تلك الشعوب سلبت تلك الآدمية التي يتمتعون بها، لذلك يحرم عقد أي سلام معهم، أو التعامل معهم بعطف أو رحمة، وإنما يجب عليهم امتلاك أراضيهم بالقوة، وحرمانهم من العيش عليها إلا كما يعيش الحيوان تسخيراً وخدمة وقتلاً وطرداً.

من هنا، كل تسوية أو معاهدة بينهم وبين هؤلاء السكان هي باطلة بمقتضي شريعتهم، لأنها تمنع وتعيق من استيلائهم علي كامل الأرض الموعودة وفق تعاليمهم الدينية كما ورد في توراتهم: " وَأَجْعَلُ تُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَي بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَي النَّهْرِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَي أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ. لاَ تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلاَ مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْدًا. لاَ يَسْكُنُوا فِي أَرْضِكَ لِئَلاَّ يَجْعَلُوكَ تُخْطِئُ إِلَيَّ. إِذَا عَبَدْتَ آلِهَتَهُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ فَخًّا"().

فإلههم قد حرم عليهم معاهدة الجوييم والتعامل معهم والالتصاق بهم، إذ لا عيش مشترك بين طرفين إلا علي سبيل الاستثناء والمخادعة والنفاق والمصلحة، كما ورد في التلمود: إن العهد إذا أبرم يجب أن يبرم بين طرفين متكافئين، ولما كان الأممي لا يساوي اليهودي فإنه لا يحق لليهودي إبرام عهد مع الأممي، وحتي لو أبرم عهداً بظرف ما فهو في حل منه عند زوال السبب().

إذا قارنا بين ما جاء في الفكر الديني اليهودي مع واقع اليهود في فلسطين في العصر الحاضر لوجدنا التشابه بين العقيدة اليهودية وبين الأسس التي قامت عليها الحركة الصهيونية في استعمارها لفلسطين. فالصهيونيون قد طرحوا مشروعهم وقاموا به علي أساس الوعد الإلهي أولاً، ومن ثم يجب عليهم تهجير اليهود المنتشرين في العالم إلي فلسطين التي هي في نظرهم أرض خالية خربة، والفلسطينيون الذين يعيشون فيها هم غائبون من العقلية الصهيونية اليهودية وفق النظرة الدينية، لذلك قالوا: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"().

وبما أن الفلسطيني غائب من العقلية الصهيونية باعتباره يفتقد الآدمية التي يتمتع بها اليهود، لذا لابد من طرده وقتله وممارسة جميع أنواع الإرهاب والعنف، لكي يتمكن اليهود من العودة إلي أرضهم ـ كما يزعمون ـ لإعمارها وفق العبقرية اليهودية ويعيشون السلام الذي يحلمون به. وطالما أن ذلك لم يتحقق لهم بعد، فإن الحرب ستبقي قائمة، وإن وقعت معاهدات السلام مع بعض الحكام العرب، لأن هذا السلام ليس هو الهدف الذي يسعون وراءه، وإنما هذا السلام هو سلام الوسيلة التي تخدم أهدافهم التوسعية. وهذا ما صرح به "بيغن"() بعد توقيعه معاهدة السلام 1979مع مصر بقوله:" لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا أراضي إسرائيل حتي ولا للعرب. ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد. حتي ولو وقعنا معاهدات الصلح». لكن "ديفيد بن جوريون" (). كأن أكثر صراحة وأقدم من قول "بيغن" في تحديد معني السلام الذي يتكلمون به ويوقعونه في اتفاقيات تسوية مع الحكام العرب، حيث قال عام 1936 رداً علي مقترحات لمصالحة عربية ـ يهودية: ونحن نحتاج إلي اتفاق مع العرب، ولكن ليس لتحقيق السلام في هذا البلد. السلام شيء حيوي حقاً بالنسبة لنا، فلا يمكن لدولة أن تبني وهي في حالة دائمة من الحرب ولكن السلام لنا هو مجرد وسيلة.

والهدف هو الوصول بالصهيونية إلي أعلي غاياتها. لهذا السبب فقط نحن نحتاج السلام، «والشعب اليهودي لا يمكن ـ ولن يجرؤا ـ أن يقبل أي اتفاق لا يخدم هذا الهدف"().

فالسلام الذي تحدث عنه بن جوريون وقام به بعض زعماء اليهود من بعده، هو سلام الوسيلة وليس سلام الهدف الذي يتوافق مع تراثهم الديني، هو السلام الذي يحقق لهم الهيمنة علي جميع مرافق الحياة في البلاد العربية، وتكون آثاره ونتائجه متوازية مع آثار الحرب ونتائجها. فكلاهما الحرب والسلام يمثلان وجهين لعملة واحدة، وكلاهما مسخر لتحقيق الحلم الصهيوني في إقامة دولة يهودية تكون فلسطين هي القاعدة "لإسرائيل الكبرى" الممتدة من الفرات إلي النيل، ولتكون "إسرائيل العظمي" التي تسيطر علي الاقتصاد في البلاد العربية والإسلامية والتي أطلق عليها من قبل الدول الاستعمارية "منطقة الشرق الأوسط". كما لا يخفي أن سلام الوسيلة له أهميته الاستراتيجية بالنسبة لليهود، إذ يحقق لهم الاعتراف بكيانهم من قبل العرب، ودخولهم معهم في علاقات سياسية واقتصادية تكفل لهم وقوع بلدانهم في تبعيتهم، وقد أقر بن جوريون بذلك بقوله:" إن النموذج الصهيوني هو نموذج حضاري يرمي للهيمنة». وكذلك "أبا إيبان" في قوله: «إن إسرائيل لا تريد سلاماً علي الورق فقط، ولا حدوداً محكمة الإغلاق». وقال شامير أيضاً: «إن معني السلام عند الإسرائيليين لا يعني فقط أن تقبل إسرائيل ولكن أيضاً أن تقبل الصهيونية»().

وإذا كان هذا هو سلام الوسيلة فما هو سلام الهدف الذي هو المعني المقصود من السلام اليهودي الذي له معني خاصاً في عقليتهم لا يمكن أن يعلمه غيرهم إلا من حاول دراسة فكرهم الديني وتعمق فيه، وقارن بينه وبين فكرهم السياسي الذي يطبقونه الآن في كيانهم الاستعماري؟.

ولتحديد مفهوم السلام بمعناه الدقيق نستعرض أولاً كلاماً "لبيغن" قال فيه: «... نحن نحارب نحن موجودون... وإذا لم نحارب سوف نفني الحرب هي الطريق الوحيد للخلاص.. والحرب أيضاً هي الطريق الوحيد الذي يجعلنا ـ نحن اليهود ـ لا نتحول إلي قطيع من الرقيق ... وإنما إلي أسياد ومسيطرين().

فالحرب هي طريق الخلاص كما يعتقد "بيغن" وسائر اليهود، وهذا الخلاص هو السلام الذي ينشده اليهود ويحلمون أن يوماً ما سيصلون إليه.

فرؤيا الخلاص من الأسس الجوهرية التي قامت عليها الصهيونية في تهجير يهود العالم إلي فلسطين باعتبار أن هذه الرؤيا تقوم عليها اليهودية في نظرتها للمستقبل، وتشغل حيزاً كبيراً من تفكير اليهود وسلوكهم. وهذه الرؤيا تعني أنهم في آخر الزمان، أي بعد تنفيذ مشروعهم الصهيوني بكامله، وتحقيق الوعد الإلهي لهم، حيث تخضع كل شعوب الأرض لسيادتهم وسيطرتهم، بعدما انتهوا من بناء الهيكل علي أنقاض المسجد الأقصى في القدس، وخاضوا حرباً كونية عظيمة سحقوا فيها أبناء الظلام ـ بزعمهم ـ عندها يبعث فيهم المسيح عيسي عليه السلام لأول مرة ـ لأنه بنظرهم لم يأت بعد ـ فيحكم بموجب الشريعة اليهودية، وعندها تنبذ البشرية الحرب ويحل السلام، ويستشهدون علي ذلك العصر بما جاء في سفر إشعيا: "يكون في الأيام الآتية أن جبل بيت الرب يثبت فوق التلال، إليه تتوافد جميع الأمم، ويسير شعوب كثيرون يقولون: لنصعد إلي جبل الرب إلي بيت إله يعقوب فيعلمنا أن نسلك طرقه فمن صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. الرب يحكم

بين الأمم ويقضي لشعوب كثيرين، فيصنعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. فلا ترفع أمة علي أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب من بعد"().

لكن السلام الذي يحلمون به لن يأتي إلا عن طريق إخضاع جميع أمم الأرض لهم التي ستسعي ذليلة متلهفة للسير علي طريق اليهود، والخضوع لأحكام شريعتهم. وقبل تحقق هذه الرؤيا فإنهم لن يعرفوا السلام لغيرهم سوي سلام الوسيلة الذي هو مرحلة من مراحل حياة اليهود، والسلام بنوعيه - سلام الوسيلة وسلام الهدف- هو سلام العبودية الذي لن يأتي إلا عن طريق القوة المادية القاهرة، والمتفوقة عسكرياً، والمهيمنة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وإعلامياً، ويجعل من جميع الشعوب والأمم خدماً وعبيداً لهم. والفارق بينهما أن سلام الوسيلة هو استمرار للحرب بكل صورها وأشكالها، بينما سلام الهدف هو النتيجة النهائية السعيدة التي يعتقد اليهود أنها المحصلة النهائية لجميع حروبهم منذ إن وجدوا علي الأرض().

إن المقارنة بين مفهوم السلام الهدف الذي يعنيه اليهود بخطبهم ويسعون للوصول إليه بجدية، وبين واقعهم اليوم من خلال كيانهم الذي أقاموه علي أرض فلسطين، نجد أن السلام الحقيقي بالنسبة لهم ما زال بعيد المنال، وذلك لأن مشروعهم الاستعماري لم ينفذ منه إلا جزء صغير، وأرض الميعاد التي تمتد من نهر الفرات إلي نهر النيل لم يحصلوا منها إلا علي فلسطين، كما إنهم لم يستطيعوا لغاية الآن إقامة دولة خاصة باليهود، فالعنصر العربي ما زال له وجود يشكل خطراً يقض مضجعهم ويعيق جميع خططهم وطموحاتهم وبخاصة أنهم لم يفلحوا في اقتلاعه من أرضه واستئصاله.

من هنا يمكن القول: إن السلام الذي ينادون به لهذه المرحلة هو سلام الوسيلة الذي يريدون من خلاله أن يصلوا إلي ما عجزوا عن طريق الحرب في الوصول إليه، وقد جاء في سفر ميخا: " ينادون بالسلام إذا كان لهم ما ينهشونه بأسنانهم، ويفرضون الحرب علي من لا يملأ أفواههم".

إن السلام الذي يطلبه اليهود من العرب ينسجم مع سلام الوسيلة، ولإيضاح ذلك نرجع إلي كتاب "شمعون بيريس" "الشرق الأوسط الجديد" حيث نجده يتحدث عن الحرب والسلام وكأن السلام هو الخيار الوحيد أمام العرب لاسيما بعد هزيمتهم في الحروب السابقة أمام إسرائيل القوية التي لا تهزم!!. إذاً فالسلام الذي يطرحه بيريس هو سلام العبودية، سلام المنتصر مع المهزوم، سلام الأخيار فيه، لا سلام العدل والتكافؤ الذي تعرفه الشعوب فيما بينها.

ومن خلال ما طرحه (شمون بيريس- بيريز)() من مفهوم "إسرائيل العظمي" حيث السيطرة علي الاقتصاد والهيمنة علي الشرق الأوسط ندرك أي سلام يريد؟ وأي معني يقصد؟().

أما "بنيامين نتنياهو"(رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي الحالي) فقد كان أكثر صراحة في حديثه عن مفهوم السلام الذي يؤمنون به، فقد تحدث في كتابه " مكان بين الأمم" عن نوعين من السلام، وتساءل: هل يمكن إقامة سلام بين دولة ديمقراطية- ويقصد بذلك كيانهم - وأخري دكتاتورية- ويقصد الدول العربية- وأجاب عن ذلك بالإيجاب ولكن عن طريق القمع والردع والإخضاع ، ففكرة سلام الردع التي تكلم عنها نتنياهو تنسجم مع فكرة السلام في الفكر الديني اليهودي والفكر السياسي الصهيوني، ويطرح من خلالها مفهومي السلام: سلام الوسيلة وسلام الهدف في آن واحد. وقد عبر

عن ذلك في اليوم الأول لتوليه رئاسة الحكومة الإسرائيلية في حزيران(يونيو) عام 1996، حيث قال بوضوح: "حدود إسرائيل الكبرى موجودة لمن لا يعلم في التوراة ...وعلم إسرائيل الكبرى لمن لا يري عليه خطان زرقاوان يمثلان النيل والفرات، وبينهما نجمة داود الذي سوف تعيد مملكته ثانياً مهما طال الزمن، وسوف تشهد مملكته أيضاً إحلال الشعب اليهودي وثقافته مكان ما هو غير يهودي في أرض الميعاد "(). كما قال أيضاً: "وبناء علي اتفاقيات السلام بين إسرائيل وكل من مصر والأردن، وبناء علي إمكانية توسيع هذه الدائرة لتشمل دولاً أخري. يمكننا تحقيق سلام في الشرق الأوسط، ولكن في حالة معرفة أي نوع من السلام يمكن تحقيقه في هذه المنطقة"().

خاتمة البحث وأهم النتائج :

1 - إن نصوص العهد القديم التي يقدسها اليهود تكشف لنا سلوكهم المعوج مع إلههم فقد نقضوا عهده ولم يلتزموا مواثيقه، وتعد تلك النصوص سجلا دقيقا ومفصلا لشرورهم وآثامهم، وصمم آذانهم عن الاستجابة له، ومخالفتهم لشريعته، وخيانتهم لعهده، بل كفرانهم به، وعبادتهم الأصنام والأوثان من دونه، فما من سفر من أسفارهم إلا يزخر بعبارات السخط والغضب التي صبها الله علي بني إسرائيل صباً في كل عهودهم منذ أخرجهم الله من مصر إلي أن أهلكهم بظلمهم، وقضي بخراب بلادهم، وتقطيعهم في الأرض كما أسلفت.

2 - وتبين أن اليهود يتحايلون علي النصوص التي يقدسونها، وذلك اتضح من خلال ضرب مثالين في التلمود، كما سبق بيانه.

3 - إن توراة بني إسرائيل الحالية تعد سجلا دقيقا ومفصلا لشرورهم وآثامهم، وصمم آذانهم عن الاستجابة لله، ومخالفتهم لشريعته، وخيانتهم لعهده، بل كفرانهم به، وعبادتهم الأصنام والأوثان من دونه، وقتل أنبيائهم في أطوار تاريخهم، فما من سفر من أسفارهم إلا يزخر بعبارات السخط والغضب التي صبها الله علي بني إسرائيل صباً في كل عهودهم منذ أخرجهم الله من مصر إلي أن أهلكهم بظلمهم، وقضي بخراب بلادهم، وتقطيعهم في الأرض كما أسلفت.

4 - تربي اليهود علي الغدر والخيانة ، فكل أتفاق يعقدونه أو عهد يقطعونه يخفي في طياته حقداً قاتلاً؛ فبيد يصافحون وبالأخرى يطعنون، وهكذا كان مسلكهم عبر التاريخ وفي كل بلد سكنوه. فالنصوص التي يقدسونها في العهد القديم والتلمود، يوجد بها نماذج تدل علي خيانة اليهود وغدرهم ونقضهم لكل العهود والمواثيق.

5 - إن لليهود مفهوماً خاصاً للسلام ينبثق من فكرهم الديني الذي ارتكز عليه الفكر الصهيوني بكل مقوماته، وما قاموا به أو سيقومون به من معاهدات واتفاقيات للسلام يأتي ضمن هذا المفهوم حصراً، كما وإن ما جري وما قد يجري من معاهدات بينهم وبين بعض الدول العربية، ما هي إلا مرحلة من مراحل تنفيذ المشروع الصهيوني الاستعماري الكبير، وإن الالتزام بها لا قيمة له باعتبارها وسيلة لهدف ثابت لن يتغير في عقيدتهم الدينية التي تربوا عليها.

6 - هذه العقيدة تجمع اليهود حولها، وتوحد بين أفكارهم وطموحاتهم وأحلامهم المستقبلية، لاسيما القادة منهم، حيث لا اعتبار هنا لاختلاف أحزابهم وتجمعاتهم وفرقهم التي تبدو في بعض الأحيان مختلفة ومتباينة في مواقفها، إلا أن هذا لا يعدو كونه تنافساً يتمحور حول الوسائل الموصلة إلي الهدف الثابت الذي لم يتحقق منه لغاية الآن وفق مخططاتهم إلا جزء صغير فقط.

7- علاقة اليهود مع الأغيار لا ترتقي في أي ناحية منها إلي مستوي العلاقات الإنسانية والقيم الأخلاقية المتعارف عليها بين البشر، لأن جميع معاملاتهم مع الجوييم ليس لها من جهتهم أي قيمة دينية أو أخلاقية، ولا يلتزمون بقول أو عقد إلا بمقدار ما يعود عليهم من الفائدة فإذا انتهت انتهي التزامهم.

مراجع البحث

1. د. أحمد شلبي ، اليهودية ، مكتبة النهضة، القاهرة ، مصر، ط 8، 1988م .
2. أحمد ديدات، العرب وإسرائيل صراع أم صلح ، مكتبة النور ، مصر ، ط1، 1991م.
3. د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ، دار: الفكر العربي ، دمشق ، سوريا ، ط2، 1973م .
4. إسرائيل شحاك ، التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة : صالح علي سوداح، بسيان للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995 .
5. ـــــــــــــــــــــــــــ ، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة: حسن خضر، سينا للنشر ، القاهرة ، مصر، ط1 ، 1994م .
6. أ/هـ روفي، أطلس الكتاب المقدس، طبعة مجمع الكنائس في الشرق الأوسط ، د.ت.
7. الأب : آى . بى براناتيس، فضح التلمود وتعاليم الحاخاميين السرية ، إعداد: زهدي الفاتح ، دار: النفائس ، بيروت، ط4، 1412هـ - 1991م .
8. الأرقم الزعبي، حقائق عن اليهودية، دار: المتحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ط1 ، 1990م .
9. الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة : د. يوسف حنا نصرالله، مطبعة المعارف ، مصر، ط1، 1899م .
10. بنيامين نتنياهو، مكان بين الأمم، ترجمة: محمد عودة الدويري، الأهلية، الأردن ، ط2، 1996م .
11. جبر الهلول ، المواثيق والعهود عند يهود ومفهوم السلام، دار: الإمام مالك ، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م .
12. ـــــــــــــــــــــــــــ ، المواثيق والعهود في ممارسات اليهود: قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ - 2004 م .
13. سهيل الديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار: النفائس، بيروت ، ط1، 1981م.
14. د. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي وأطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م .
15. شفيق أحمد علي، في جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل ، مركز الحضارة العربية، مصر، ط2، 1998م .
16. د. عبدالوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، دار: الشروق، القاهرة، ط1، 1999م .
17. علي مسعد طه فراج، إسرائيل 00 إلي أين ؟! (دراسة في فكر وتاريخ اليهود 00 ومصير دولتهم الحالية) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 ، 1999م.
18. محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي بروتكولات حكماء صهيون، دار: الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ط 4، د.ت .
19. مجلة قضايا فكرية: القاهرة الكتاب السادس، أبريل 1989، الصراع العربي الصهيوني، الجذور والمواقف .

20.مناحم بيجين ، التمرد ، قصة الأرجون ، تقديم لواء : حسن البدري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1978م .
21.وليم مارش ، السنن القويم في تفسير العهد القديم : شرح سفر الخروج ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى القديم، بيروت، 1973م .